

تفسير ابن كثير

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم ، عليهما السلام ، أنه جعلهما آية للناس

: أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء ، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم ، وخلق

حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الناس من ذكر

وأنثى . وقوله : (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال الضحاك ، عن ابن عباس :

الربوة : المكان المرتفع من الأرض ، وهو أحسن ما يكون فيه النبات . وكذا قال مجاهد ،

وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة . قال ابن عباس : وقوله : (ذات قرار) يقول : ذات

(خصب) (ومعين) يعني : ماء ظاهرا . وقال مجاهد : ربوة مستوية . وقال سعيد بن جبير : (

ذات قرار ومعين) : استوى الماء فيها . وقال مجاهد ، وقتادة : (ومعين) : الماء الجاري

. ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة في أي أرض [الله] هي ؟ فقال عبد الرحمن

بن زيد بن أسلم : ليس الرى إلا بمصر . والماء حين يرسل يكون الرى عليها القرى ،

ولولا الرى غرقت القرى . وروي عن وهب بن منبه نحو هذا ، وهو بعيد جدا . وقال ابن

أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى : (وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) ، قال : هي دمشق . قال : وروي عن عبد الله بن سلام ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وخالد بن معدان نحو ذلك . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (ذات قرار ومعين) قال : أنهار دمشق . وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : (وآتيناهما إلى ربوة [ذات قرار ومعين]) ، قال : عيسى ابن مريم وأمه ، حين أويا إلى غوطة دمشق وما حولها . وقال عبد الرزاق ، عن بشر بن رافع ، عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : في قوله : (إلى ربوة ذات قرار ومعين) قال : هي الرملة من فلسطين . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا رواد بن الجراح ، حدثنا عباد بن عباد الخواص أبو عتبة ، حدثنا السياني ، عن ابن وعلة ، عن كريب السحولي ، عن مرة البهزي قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لرجل : " إنك ميت بالربوة " فمات بالرملة . وهذا حديث غريب جدا . وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه

العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين) ، قال : المعين الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال الله تعالى : (قد جعل ربك تحتك سريا) [مريم : 24] . وكذا قال الضحاك ، وقتادة : (إلى ربوة ذات قرار ومعين) : هو بيت المقدس . فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى . والقرآن يفسر بعضه بعضا . وهو أولى ما يفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة ، ثم الآثار .